الحمد لله الذي أعزَّ الإســـلام والمسلمين بولايته ونصره ، وخذل الباطل والمبطلين بـــسطوته وقهره ، وأنفذ مشيئتهُ في الخلائق بحكمته وأمره ، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك لـــهُ شهادة المعتصم بهِ في حلو القضـــاء ومرِّه ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبدهُ ورســـولهُ الـــذي خصَّـــهُ بانشراح صدره واتِّـــضاع وزره وارتفـــاعِ ذكره ، صلوات الله وسلامُـــــهُ عليـــه وعلى آل بيته وصحابته والتابعين لهم بإحســـانٍ إلى يوم يبعثون.

أما بعد فأوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى فهي أنجحُ مسالك الخير .

عباد الله:إن الشهورَ والليالِيَ والأعوام مقاديرُ للأعمار ودواوينُ للأعمال ، تنقـــضي ســـريعاً وتمضي جميعاً، والموت طوَّافٌ بالخلائقِ ليلَ نهار لا يعجزهُ من سكن البروج المشيدة أو ، يأخذ من كتب عليه الموتُ من الناس ويرسل الآخرين إلى أجل مسمىً ، وما الأيـــام والليـــالي في عمرك أيها المسلمُ إلا خزائن ومستودعاتٌ حافظةٌ لأعمالك، تُدعَى بها يوم القيامة، (يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا) وربك قبل يوم العرض ينادي عبـــادهُ فيقـــول: ((يـــا عبادي، إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفِّيكم إياها، فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومـــن وجد غير ذلك فلا يلومنَّ إلا نفسه)) .

هاهو شهرُ رمضانَ بجماله وجلاله أبلتهُ الأيامُ وأتت عليه ليكونَ خبراً يُـــروى وزمناً بعد يوم أواثنين ينتهي فيطوى ،ولا يكادُ اثنان يلتقيان اليوم أو الليلة إلا عجِـــبا من سرعة انقـــضائه ، فما أجمل أن يقترن بذلك العجبِ تذكرٌ لآيةٍ كرَّت آذان المصلين وترددت على ألسنة التالين (قال كم لبثتم في الأرض عدد سنين قالوا لبثنا يوماً....) هذا سؤالٌ يسأل الله بـــه المجـــرمين فيجيبونه (لبثنا يوماً أو بعض يوم ، وهم في موقف عصيب لم يغضب الله قبلهُ مثله ولن يغضب مثله بعده فهو موقفٌ لا مجال فيه للتندر والاستهـــزاء ، ولكنها حقـــارةُ الـــدنيا وهـــشاشة ملذاتها وتمحضُ فواتها فقد عاشوا عقوداً وعقوداً صارت في أعينهم بعد البعث يوماً أو يومين.

وهكذا هو عمرك أنت أيها المسلمُ ستراهُ يوم القيامة كما ترى رمضان القائم هذه الـــساعة ، لن يبلغ به الطول والعافيةُ وكثرة الولد أو المال مبلغا يزيده في نظرك عن يومٍ أو يومين.!

فمن أحسن في شهر رمضان وعزم على مداومة الإحسان فلا يضره الموتُ فهو على خيرٍ سواء حيَّ أو مات فمن هم بحسنةٍ فلم يعملها كتبها الله لهُ حسنة، ومن عزم على العود إلى التفريط والتقصير بعد رمضان فمن أهم ما يجبُ عليه قبل تنفيذ عزمه أن يتعرف على خالقه ، ويعلمَ أن الله تسمَّى باسمٍ جليلٍ عظيمٍ لا يليقُ كماله بغير الله ألا وهو الحيّ ، فلئن أفنت الأيامُ رمضانَ وأفنتكَ أنت أيها العبدُ لله كما أفنت آبائك إلى آدمَ فالله تعالى وتقدَّس حيٌّ لا يفنيه تداولُ الأزمان وتعاقب الأهلة ، ومن كان يعبدُ رباً حياً لا يلتحقُ به فناءٌ فمن قلة العقل أن يُشهد هذا الحيَّ الذي لا تأخذهُ سنةٌ ولا نومٌ على جعله أهونَ ناظرٍ وشهيد.

إن من وقع في التقصير بعد التمام، أو أغرق من الذنوب بعد الإقلاع عنها لهو مغبونٌ ، ولو غشَّ نفسه بعبادات موسمية ذات خِداج، وما أحرى مثل هذا العبد (الموسميِّ) الذي لا يبذل الجهد في غير رمضان بتأمل هذه الصورة القرآنية العظيمة (أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ) إنها صورةٌ مؤلمةٌ لأفئدة الآباء الكادحين والموسرين وأرباب الثروات قبل إيلامها قلوب الفقراء ، رجلٌ جمع مالهُ وجهد حياته المتمثل في بستانٍ غني بالثمار وتجري المياهُ بين مجاريه تسقي الحرث المتنوع الذي فيه كل ما يرغبُ إليه الناس من الثمار والزروع ، وهذا الرجل الكبير الطاعنُ في سنه يؤمل أن يكون هذا البستانُ عضداً يواجه به أبنائه وبناته الصغارُ البُرءاءُ طوارق الأيام التي لا يسلمُ منها أحدٌ وقد اطمأنت نفسه عليهم إن فاجأه الموتُ فلن يخاف عليهم إذ ترك لهم ما يكفيهم وزيادة ، وفي أثناء هذا الحديث الممتع والخواطر النفسية الجميلة إذا بجائحةٍ ناريةٍ تجتاحُ هذا البستان وما فيه من ثمارٍ وزروع ومياهٍ فيرى هذا الشيخُ الطاعنُ جهد حياته ينتهي في طرفة عين ، ثم ينظر في نفسه وجسده فإذا هو عاجزٌ عن العمل والتكسب فقد أكلت النار شبابه الذي أنفق ما جمعهُ فيه في هذا البستان وينظر نظرة أخرى للصبية الصغار يتضاوون حوله من الجوع وهم لا يقدرون على العمل ولا حيلة بأيديهم فلم يجد هو ما يعود به على أولاده ، ولا أولاده ما يعودون به عليه فلله ما أشدها من حادثةٍ وما أفظعها من مصيبة .

هذه الآيةُ الكريمة المشتملةُ على هذه الصورة أيها الصائمون لم يترلها الله لأصحاب البساتين ليأخذوا احتياطات السلامة والوقاية من الحرائق لكنها مثلٌ لا يعقله إلا أولو الألباب.

ففي الصحيح أن فاروق هذه الأمة سأل حبر الأمة وترجمان القرآن عن هذا المثل فأجابه ابن عباس رضي الله عنهما بأن المقصود بها رجلٌ كان يعمل بطاعة الله فبعث الله له الشيطان فأغراه بالمعصية فلزمها ثم فاجأهُ الموت وقد غرقت حسناته في طوفان السيئات وانقضى عمره ولا فرصة للعود والتزام الصالحات ، فما لأقوامٍ يعمل أحدهم وكأنه اتخذ عهداً عند الله بأن لا يموت إلا بإشعار وتنبيه.
فاحذر عبد الله يا من بكيت من خشية الله وصمت شهر رمضان ابتغاء مرضات الله وقمت في الأسحار رغبةً إلى الله وكنت تسأله مع المصلين قائلاً (واجعل الحياة زيادة لي في كل خير) إياك أن تكون البشري إلى نفسك أن الله رد دعوتك فكانت حياتك زيادة لك في الشر احذر أن تكون كصاحب البستان فتكون من الخاسرين ، فالرجوع والنكوص عن العمل الصالح هو مما استعاذ منه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله فيما صح عنه: ((وأعوذ بك من الحور بعد الكور)).

وهناك أمور يُستحب فعلها أو قولها في ليلة العيد ويومه، يشرع التكبير من غروب شمس ليلة العيد إلى صلاة العيد، قال تعالى: (وَلِتُكْمِلُواْ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) وكان ابن مسعود رضي الله عنه يقول: (الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، والله أكبر، الله أكبر، ولله الحمد) . ويُسنّ جهر الرجال في المساجد والأسواق والبيوت إعلاناً بتعظيم الله، وإظهاراً لعبادته وشكره.

عبد الله: لقد شرع لك مولاك عز وجل زكاة الفطر وهي طهرة للصائم من اللغو والرفث، وطُعمة للمساكين، وتكون صاعاً من شعير أو تمر أو زبيب أو أرز أو نحوه من الطعام، تخرجُ عن الصغير والكبير، والذكر والأنثى، والحر والعبد من المسلمين، وأفضل وقتٍ لإخراجها قبل

صلاة العيد، ويجوز قبل يوم العيد بيوم أو يومين، ولا يجوز تأخيرها عن صلاة العيد ومن أخرجها بعد الصلاة لم تقبل منهُ زكاة فطر.

ويستحب الاغتسال والتطيب للرجال قبل الخروج للصلاة، صح عن سعيد بن جبير رضي الله عنه أنه قال: (سنة العيد ثلاث: المشي والاغتسال والأكل قبل الخروج). وكذا التجمل بأحسن الملابس، وكان للنبي صلى الله عليه وسلم جبة يلبسها في العيد وفي يوم الجمعة، وصح أن ابن عمر رضي الله عنهما كان يلبس للعيد أجمل ثيابه.

أما النساء فيحرم عليهن أن يفتنَّ الرجال بإظهار الزينة لأنهن منهيات عن التبرج، ومحرمٌ على من أرادت الخروج منهن أن تمسّ الطيب ، فإنها ما خرجت إلا لعبادة وطاعة، فكيف تعصي الله بالتبرج والسفور والتطيب أمام الرجال؟!

وأكل تمرات وترا قبل الذهاب إلى المصلى، لما رواه البخاري عن أنس رضي الله عنه: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يغدو يوم الفطر حتى يأكل تمرات.

عيد المسلمين – إخوة الإسلام – مناسبة جميلةٌ لنحر الشيطان ودحره بنبذ الشحناء والبغضاء، والانتصار على المشاعر والأحاسيس التي يترغ بها الشيطان، فهل جعلنا العيد منعطفاً حقيقياً في علاقتنا مع أقاربنا وجيراننا وإخواننا؟! هلا تجاوزنا المظاهر والطقوس ليكون عيداً وفرحة بقلوب صادقة ونفوس طاهرة؟! قال تعالى: (وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً وَبِٱلْوٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰناً وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّـٰحِبِ بِٱلجَنْبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُوراً)

هاهي الأمة تودّع رمضان، لكنها لم تودِّع مآسيها الدامية وآلامها المبرحة، وهي تمر اليوم بمحن عظيمة، وجراح عميقة، ترى جراحها توسعُ كلما رام لها الطبيبُ التئاماً فلا تنسوا جراحكم النازفة في كل بلد وارفعوا أكف الضراعة وجودوا بما استطعتم وأطلعوا الله منكم على الشعور بالجسد الواحد الذي إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر .

ومن أزته الشياطين في العيد ليتراقص فليعلم أنه أحد رجلين إما رجلٌ قبل الله صيامه فما هكذا يشكر الله على القبول ، أو رجل رد الله طاعته فانقلب على وجهه وخاب سعيه فمـــا هكـــذ صنيع الخائفين فاحفظ دينك يا عبد الله ولا تطع من أغفل الله قلبه عن ذكره وابتع هواه وكان أمره فرطاً.